تصـــــدير

العناية بالسياسة ومحاولة تعرف مذاهبها ، واستطلاع أسرارها ، هى طابع هذا العصر الحافل بالأحداث العظام والخطوب الفوادح ، والذى تعانى فيه الإنسانية أزمة من أعنف الأزمات ، وتبذل جهوداً مضنية ، وتقاسى ألماً مريراً ، وقد تسلطت السياسة على العقول ، وتغلغلت إلى كل منحى من مناحى الحياة ، فالضرائب التى تفرض علينا ، والعدالة التى ننشدها ونحتمى بها واستتباب الأمن أو اضطراب حبله فى أيام السلم ، وإثارة الحروب وما ينشأ عنها من تدمير وتخريب ، ومدى ما يسمح لنا به من حرية فى العمل أو فى القول ، وسائر مقومات حياتنا ، وأسس وجودنا ، أصبحت كلها تتأثر بالسياسة وتتلون بلونها .

والتفكير السياسى الحديث فى حالة تميع وتخليط إلى حد كبير ، فالمسائل التى يتناولها مثار خلاف شديد ، ونقاش عنيف ، وهذا

الخلاف يمتد إلى مشكلاتها الأساسية ، ويتسلل إلى طرائق وصفها ، وأساليب عرضها ، ولعل مصدر الصعوبة الأصيلة هو أن أقطاب الساسة ، وزعماء الأحزاب ، وأصحاب النحل السياسية ، يميلون إلى تبسيط المذاهب السياسية ، لتكتسب مناعة ، وتزداد تمكيناً ، وهم يعلمون بخبرتهم المستفيضة ، ودرايتهم الواسعة ، ويدركون بغريزتهم السياسية العملية أن نجاح أى حركة من الحركات رهن بتبسيط فكرتها ، والمبالغة فى تأكيدها ، والتهويل فى إعلانها ، ولا ريب فى أن هذه المبالغة تغض من قيمة المذهب ، وتشوه من جماله ، وتستنزله من مستواه الرفيع ، ولكن المذهب — من ناحية أخرى — لا تستشرى قوته ، وتهب ريحه إلا بهذه الطريقة ، فالتبسيط والمبالغة والتكرار تقربه إلى العقول وتمزجه بالنفوس وتعين على خلق العقلية المتعصبة التى تدين به ، وتؤمن إيماناً لا يعرف الشك ولا يقف عند حد ، وذلك فى حين أن المفكرين السياسيين يميلون إلى تشقيق المذاهب ، وتفريع الأصول ، ويعنون فى بيان جوانبها المختلفة ، وألوانها العديدة ، وفروقها الدقيقة ، حتى تغشى الناس الحيرة وتتبلبل أفكارهم ، ويستتبع ذلك انثلام إرادتهم ، وتحلل عزيمتهم ، وعجزهم عن

رياضة المشكلات ومواجهة الأزمات .

وليس من الميسور بطبيعة الحال استيعاب مرامى المذاهب السياسية جملة ، ولا استقصاء وجوهها جميعها فى مثل هذه الرسالة المحدودة النطاق ، ولكنى تحريت إبرازاً أكثر نزعاتها الغالبة ، وتياراتها الرئيسية ، وقد عملت جهد الطاقة على أن أتناولها بطريقة لا تقتضى معرفة سابقة للموضوع ، تحقيقاً للغرض المقصود من هذه السلسلة وتعميما للفائدة .

ومهما اختلفت الآراء فى وصف سمات العصر الحاضر ، وتوضيح خصائصه ، فلا امتراء فى أنه عصر قد اشتد فيه قلق الروح ، ومادت بها المخاوف ، وساورتها الشكوك ، وقد حدت التجارب القاسية والعبر الأليمة الإنسانية على أن تنكر ما كانت تعرف ، وتعجب مما كانت تألف ، وتعيد النظر فيما كانت تسلكه ببدائه العقول ، وتلحقه بالمسلمات ، وقد شملت هذه المراجعة الناقدة الكثير من موروثات الماضى المقدسة ، وأسس السياسة ، ونظم الدولة ، وأساليب الإدارة .

ولأجل أن يقوم كل إنسان بقسط عملى فى توطيد الحضارة ، وتأييد القيم السامية فإن عليه أن يواجه القوى التى تعمل حوله ،

ويحاول أن يستشف عناصرها ، ويستوضح فواعلها ، ويميز فيها الحق من الباطل ويروض نفسه على أن يعمل وفق المبادىء التى يقتنع بصحتها . وتصفح المذاهب السياسية والإلمام بنظرياتها وتجاربها وآثارها يعين على الأخذ بالمبادىء السليمة ، وتكوين الآراء الصحيحة . والعالم فى أمسّ حاجة إلى الاستمساك بالعقائد الصادقة وتطبيقها فى السياسة . ويجمل بالإنسان أن يقدر كرامة إنسانيته فلا يتركها فى مهب رياح الحوادث ، ولا يلقى عنانها إلى أيدى المقادير ، وأن يدأب ليصوغ مستقبله حسب مشيئته وليكون مصيره فى يده ويقول مع المتنبى

أعطى الزمان فما قبلت عطاءه وأراد لى فأردت أن أتخيرا

والأزمة العالمية الراهنة أزمة شديدة التعقيد ، متداخلة المشكلات ، وليس من السهل أن نستخلص الأسباب الحقيقية التى أدت إلى حدوثها ، وأن نعرف وجه الصواب ومقطع الحق فى نقعها المثار ولهيبها المشبوب ، فهل هى فى صميمها صراع بين الحرية والطغيان ومحاولة استغلال الأمم الكبيرة القوية للأمم المستضعفة الصغيرة ؟ أو هى صراع بين المبادىء الاشتراكية والنزعات الرأسمالية ؟ أو هى نزاع بين عوامل الفوضى الدولية من

ناحية ومحاولة تنظيم حكومة عالمية من ناحية أخرى ؟ وسأحاول فى هذه الرسالة أن ألقى شيئاً من الضوء فى هذه الظلمات المتراكبة

وكاتب هذه الرسالة دمقراطى الرأى والعقيدة ، فهو ينظر إلى المذاهب السياسية المختلفة من وجهة النظر الدمقراطية ، ومن عيوب الدمقراطية الحقة أو من محاسنها أنها ليست مسرفة فى التعصب ولا نزاعة إلى التجنى مثل الكثير من المذاهب السياسية التى تناوئها ، والدمقراطى بطبيعة مذهبه أقوم بفروض الحرية وأقدر على إنصاف المذاهب الأخرى ، وأجل مزايا الثقافة أنها توسع دائرة العطف وتمكننا من أن ندرك وجهة نظر من يخالفوننا على وجهها الصحيح . وقد حاولت أن أسمو إلى هذا المستوى الثقافى وأترك للقارىء الحكم على مدى توفيقى فى هذه المحاولة ؟